

الخطبة رقم ٣٠

فضل الجهاد وغزوة تبوك

الخطبة الأولى والخطبة الثانية التابعة لها

من كتاب خطب الحمد والثناء

الحمد لله الذي شرع الجهاد في سبيله وأعد للمجاهدين أجراً حسناً
ماكثين فيه أبداً .. وأشهد أن لا إله إلا الله رب كل شيء
ومعبوده.. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المثال في معالي
الأمر ، العابد الشكور صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

أما بعد .. أيها الناس : فرض الله الجهاد على كل مسلم فريضة
لازمة حازمة لا مناص منها ولا مفر معها ورغب فيه أعظم
الترغيب وأجزل ثواب المجاهدين والشهداء فلم يلحق في مثوبتهم
إلا من عمل بمثل عملهم ومن اقتدى بهم في جهادهم ، ومنحهم
من الامتيازات الروحية والعملية في الدنيا والآخرة ما لم يمنحها
سواهم وجعل دماءهم الطاهرة الزكية عربون النصر في الدنيا
وعنوان الفوز والفلاح في العقبى ، وتوعد المخالفين القاعدين
بأفطع العقوبات ورماهم بأبشع النعوت والصفات ووبخهم على
الجبين والقيود ونعى عليهم الضعف والتخلف وأعد لهم في الدنيا
خزياً لا يرفع إلا أن يجاهدوا وفي الآخرة عذاباً لا يفلتون منه ولو
كان لهم مثل أحد ذهباً ، واعتبر القعود والفرار كبيرة من أعظم
الكبائر وإحدى السبع الموبقات المهلكات ، ولن نجد نظاماً حديثاً
أو قديماً دينياً أو مدنياً عنى بشأن الجهاد والجنديّة واستتفار الأمة
وحشدها كلها صفّاً واحداً للدفاع بكل قواها عن الحق كما نجد ذلك

في دين الإسلام وتعاليمه ، وآيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم فيأضة بكل هذه المعاني السامية ، داعية بأفصح عبارة وأوضح أسلوب إلى الجهاد والقتال وتقوية وسائل الدفاع والكفاح بكل أنواعها من برية وبحرية وغيرها على كل الأحوال والملابسات ، قال تعالى: (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) ومعنى كتب فرض. وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيى ويميت والله بما تعملون بصير* ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ولئن متم أو قتلتم لنلأ الله تحشرون) . ومعنى ضربوا في الأرض خرجوا فيها مجاهدين وغزاً غزاة محاربين ، وانظر إلى مقارنة المغفرة والرحمة للقتل أو الموت في سبيل الله في الآية الأولى وإلى خلو الآية الثانية من ذلك لخلوها من معنى الجهاد ، وفي الآية إشارة إلى أن الجبن من أخلاق الكافرين لا المؤمنين ، فانظر كيف انعكست الآية.

قال تعالى: (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وقال تعالى: (فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب سوف نؤتيه أجراً عظيماً) .

أيها المسلمون : تدبروا كتاب ربكم وخذوه بالتسليم والانقياد والقبول واقرأوا باب الجهاد في كتاب الله ، فسورة الأنفال كلها حثت على القتال وحض على الثبات فيه وبيان الكثير من أحكامه. وسورة التوبة كلها كذلك حثت على القتال وبيان لأحكامه وحسبك منها قوله تعالى: (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم) وقوله تعالى: (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) تم إعلام النفير العام في آيات مدوية صارخة منها قوله تعالى: (انفروا خفاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم

وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) ثم تنديد صارخ بموقف القاعدين الجبناء الأنذال وحرمان لهم من شرف الجهاد في قوله تعالى: (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون * فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون * فإن رجعت الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك في الخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدواً إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين) .

عباد الله : هل بذلتم في سبيل الله بعض ما يبذله الكافرون في سبيل الطاغوت وهل سلمتم أن الأمر جد ، حياة سعادة أو موت شهادة هل أخذتم على عواتقكم مسئولية الكفاح والجهاد أم هو شعور وتأبيد العاطفة وحب النصر من غير مقابل ، فكل هذه الاستفهامات أمام شهوة البطن والفرج وحب المال والاستعلاء في الأرض والفساد ، لتلقى الجواب من واقع حياتك ، ومن واقع حياة الفرد منا تبرز الصورة الصغرى للمجتمع الإسلامي المعاصر .

ربنا افرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين .

زكوا أموالكم قبل أن يستفحل البلاء ويعظم الخطب الجلل ، فوالله
لن تطيقوا صولة غضب قوم حرموا حقوقهم المشروعة في
أموالكم ، واعتبروا بجيرانكم كيف حكمتهم النظم الجائرة والقوانين
المصطنعة سلبتهم أموالهم وتحكمت في رقابهم وتسلطت على
حرياتهم واستسلموا لحكم الجور والظلم (وما ظلمهم الله ولكن
كانوا هم الظالمون) (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما
بأنفسهم .

قال تعالى: (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل
الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها
جباههم وجنوبهم وظهورهم * هذا ما كنزتم لأنفسكم فذقوا ما كنتم
تكنزون).

إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه
وسلموا تسليماً .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذين أوضح الحق لمن أراد سبيلاً وهدى لأهل طاعته
فاتخذوه دليلاً .. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك في الخلق

والإيجاد رب العباد ومعبودهم .. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله
الهادي لخير دين وأهدى سبيلاً صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

أما بعد .. أيها الناس : تستسيخ الأذان بصيحة الحق وتستجيب
الضمائر لندائه فلا يعوق إلا سير العمل ، والإقدام على
التضحيات ، وإن الإسلام انتشر أول ما انتشر بتضحيات الصحابة
الأبرار ، وعلى رأسهم سيد الخلق صلى الله عليه وسلم .

أخرج البخاري عن عروة رضي الله عنه قال: " سألت ابن
العاص رضي الله عنه فقلت أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون
برسول الله صلى الله عليه وسلم " قال: " بينما النبي صلى الله
عليه وسلم يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عليه عقبة بن أبي معيط
فوضع ثوبه على عنقه فخنقه خنقاً شديداً فأقبل أبو بكر رضي الله
عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم ،
وقال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله، وقد جاءكم بالبينات من
ربكم .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قيل لعمر بن الخطاب
رضي الله عنه حدثنا عن ساعة العسرة فقال عمر: خرجنا إلى
تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلاً وأصابنا فيه عطش حتى ظننا أن

رقاباً ستقطع حتى أن كان أحداً ليذهب فيلتمس الرجل فلا يرجع
حتى يظن أن رقبتة ستقطع حتى أن الرجل لينحر بعيره فيعتصر
فرثه فيشربه ، ثم يجعل ما بقي على كبده، بمثل هذه الأعمال
انتصر الإسلام (والذين جاهدوا فينا لنهديم سبلنا وإن الله لمع
المحسنين) .

إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه
وسلموا تسليماً ، اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد كما
صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد . اللهم بارك على محمد
وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إن
حميد مجيد .

إن الله يأمركم بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهاكم عن
الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ، فاذكروا الله
العظيم الجليل يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم ولذكر الله أكبر
والله يعلم ما تصنعون.